تمثيلات الآخر في رواية خارج الجسد لعفاف البطاينة

"دراسة ثقافية "

The Other's Representations In The Novel "Out Of The Body" By Afaf El Bataina « Cultural Study »

نوارة قريد

مخبر الدّراسات الأدبية والنقديّة، كلية الآداب واللغات، جامعة علي لونيسي البليدة 2

nouara.arabe@yahoo.com

أمحمد العماري

مخبر الدّراسات الأدبية والنقديّة، كلية الآداب واللغات، جامعة علي لونيسي البليدة2.

rostomblida@gmail.com

الملخص:

وقفت الدّراسة عند تمثيلات الآخر في الرواية العربيّة النسويّة من خلال اختيارنا لرواية خارج الجسد لعفاف البطاينة، هادفة من وراء ذلك إلى الولوج لعالم الآخر / الرجل العربيّ والغربي على حد السّواء، وكشف صوره والغوص في عالمه، لذا تعددت صوره واختلفت وجهات النظر إليه، ومن جملة ما توصلت إليه الدّراسة ؛ أن الكاتبة لم تخرج في تمثيلها لصورة الآخر عن الصورة النمطيّة التي ظهرت عند الكثير من الروائيات العربيات، كما يظهر أن الرواية أرادت مراجعة تلك الثقافة القابعة في الترسبات الموروثة في المجتمع الشرقي التي تمجد حضور الآخر/ الرجل وتعطيه الأحقيّة في تهميش الأنثى.

الكلمات المفتاحيّة: الأنا، الآخر، خارج الجسد، الأنثى، التمثيل.

Abstract:

This study investigates the other's representations in the feminnist novel. It studies Afaf El Bataina's novel " out of the body "as a typical novel. It aims at entering the other's world / man being either Arabian or western to detect his different pictures and drive into his world. Amongthe study's findings, the author-working on representing the other's picture-did not get out of the stereotype which appeared in many Arabian femal novelist .Besides ,Afaf El Bataina wanted to revise that rooted culture in the inherited sediments in the eastern society which glorifies man'sattendan ce ,and gives him the right to marginalize the female .

Key words: the ego ,the other/ man , out of the body, female, representation.

1-مقدمة

استطاعت الرواية العربية أن تقطع شوطا كبيرا في وعيها بالآخر، باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر تعبيرا عن العلاقات الإنسانية المعقدة، سواء كان ذلك على صعيد الذات أم على صعيد فهم الآخر. فاهتم الروائيون العرب برسم صورة الآخر في أعمالهم على اختلاف أدواتهم ومرجعياتهم، فتعددت وجهات النظر إليه، وفي محاولة لمقاربة تمثيلات الآخر وكشف أنماطه في الرواية العربية النسويّة، وقع اختيارنا على رواية "خارج الجسد" لعفاف البطاينة؛ في محاولة للتعرف على زوايا ووجهات النظر إلى الآخر وكشف تمثيلاته، متخذة من النقد الثقافي وسيلة لها، كما سعت للإجابة على جملة من التساؤلات أهمها: ما هي أشكال حضور الآخر في الرواية؟ كيف مثّلت الرّواية الآخر؟ وما هي صوره؟ كيف نظرت هذه الرواية للآخر؟

2-مفهوم التمثيل :

جاء في المعجم الفلسفي « مثّل الشيء بالشيء سوّاه وشبهه به وجعله على مثاله، ومثّل الشيء لفلان صوره له بالكتابة أو غيرها حتى كأنّه ينظر إليه، فالتمثيل إذن هو التصوير والتشبيه والفرق بينه وبين التشبيه أنّ كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا »[1].

فالتمثيل حسب المعجم الفلسفي يحمل دلالة التشبيه والتصوير وهو من الفعل مثّل ،يرى نادر كاظم أنّه «لا تخلو ثقافة من تمثل للذات أو الآخر، فالتمثيل هو الذي يعطي للجماعة صورة ما عن نفسها وعن الآخر وهو الذي يصنع لهذه الجماعة معادلا لما يسميّه بول ريكور الهوية السردية، وأنّ تمثل بالمعنى المسرحي يعني أن تتقمص الدّور و تتصوّر المشهد وتفرض حضورك على الآخرين، وأن تمثل بالمعنى البياني هو أن تتحمل مسؤولية النطق عن الآخرين »[2] .

فالتمثيل مرتبط بالصورة ،إذ أنّ صورة الأنا تتجسد وتتبلور من خلال الصورة التي نعطيها للآخر، والتي في العادة تأخذ صورة النقيض و المختلف، وهذا التمثيل « قد يكون صورة مرئية أو لفظية أو سمعيّة ... وأيضا قد يكون التمثيل سردا قصصيا، تسلسلا من الصور والأفكار ...وإمّا قد يكون التمثيل منتوجا أيديولوجيا»[3]

بالرغم من تعدد صور التمثيل تبقى صورته اللّغويّة المتجسدة ماديا بواسطة الكتابة من أهم و أخطر صور التمثيل ،ذلك أنّ الكتابة محاكاة للواقع ،وهي التي تكسب للتمثيل شرعيّة امتلاك الحقيقة، فاللغة هي وسيلة التمثيل، إلاّ أنّه ينبغي علينا أن نعي أنّ اللغة ذاتية وبالتالي فالتمثيلات التي تنقلها اللغة مطبوعة بالذاتية ولا تنوب عن الواقع كما هو، وبذلك «تصبح المعرفة المتحصلة عبر التمثيل مثقلة بالذاتية موافقة في ذلك لبنية جوهرية من بنى الذاكرة، وهي البنية الاختزالية الانتقائية ترتب على ذلك ألاّ يكون في التمثيل مجال للحديث عن أمانة في إدراك كل ما له صلّة بالموضوع الممثّل »[4].

حلّ التمثيل محلّ الواقع وأصبح هو الواقع الذي يصل إلى الفرد في علاقته بالآخر، على أنّه الحقيقة المسلّم بها، فالغوص في التمثيلات التي ينتحها الكاتب يعني حفر في البؤر المعرفية وبحث عن التشكيلات المعرفية المنتجة من قبله، وهذا من شأنه أن يسهم في معرفته وسبر أغواره ؛ ذلك أن الكاتب «هو ذاك الكائن الذي يكوّن داخل الحياة التي ينتمي إليها بكل جوارحه ،تمثيلات يعيش بفضلها و يمتلك من خلالها تلك القدرة الغريبة على تمثيل الحياة بالذات »[5].

فالكاتب ينتج تمثيلات؛ وهذه التمثيلات تعمل على تمثل حقيقة الأشياء بواسطة اللغة التي تكتسب ماديتها عن طريق الكتابة، فالتمثيل يعكس وجها يريد الكاتب التركيز عليه، وما هو إلاّ أداة أو آليّة من الآليات التي يتخذها الكاتب ليعبّر عمّا في داخله وما يحاول أن يمثله من أفكار وصور في الذهن بواسطة اللغة التي تنقل الصورة التي يهدف صاحبها أن ينقلها عن الموضوع الذي يريد تمثيله، فاللغة مشروطة بالظروف التاريخية والمكانية، فالتمثيل أو الصورة المتمثلة ما هي إلاّ نتاج نسق ثقافي أو إيديولوجي معين.

3- الآخر:

يمثّل الحديث عن الآخر في أدبنا العربيّ الحديث و المعاصر جزءا من حديثنا عن ذواتنا و نظرتنا إليها، فصورة الآخر تستدعي الأنا، كما أنّ صورتنا لذاتنا تستدعي حضور الآخر، فهما متكاملان بقدر ما هما يتنافران، «فالآخر هو طرف غير الذات، أو هو الطرف المقابل للذات كما نفهم أيضا أنّ ثمة تلازم بينهما »[6].

فوجود الآخر ضرورة حتمية لوجود الذات، بحضور الآخر تدرك الذات حضورها و اختلافها وتميّزها «الآخر شعور يحدد فيه شعور الذات بذاتها و تزداد رغبتها في الاكتمال عبر الامتزاج به، أو بما يرمز إليه »[7]، أو الانفصال عنه وتكوين نظرة مختلفة تميز الذات و تعليها .

تعددت الرؤى والأفكار و زوايا النظر للآخر منذ ظهوره في الفلسفة اليونانية إلى غاية العصر الحديث، إذ كان «مصطلح الآخر في بدايته عند اليونانيين يعني كل ما ينتمي إلى هذه البيئة أو هو لفظ يطلق على غير اليوناني سواء كانوا في الشمال أو في العمق الأوروبي أو في قارتي إفريقيا و آسيا بهدف التمييز بين اليوناني المتحضر و غيره المتخلف»[8].

بناء عليه تحددت النظرة للآخر في الفلسفة اليونانية انطلاقا من النظرة إلى الأنا، إذ تم حصر هوية الأنا وربطها باليوناني المتحضر فيما حصر الآخر وارتبط بما هو خارج عن دائرة الذات (الأنا) اليونانية ليغدو «الأنا و الآخر مولودان معا و هذا ما يقرره علماء الاجتماع علماء النفس و الصورة التي نتخيلها عن أنفسنا لا تتم بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر لدينا هي بمعنى من المعاني صورة عن ذواتنا، فاستخدام أي منها يستدعي تلقائيا حضور الآخر».[9]

الآخر هو المنطلق والزاوية التي ينظر من خلالها لذواتنا والتي من خلالها يتحدد تميز الذات و تفوقها، فالآخر« مفهوم متحرك ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية وهي النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة فقد يتحدد الآخر بالقياس إلى فردا أو إلى جماعة معينه، قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء بالقياس إلى الأغنياء أو خارجية بالقياس إلى مجتمع أعم »[10].

يتحدد الآخر تبعا لزاوية النظر إليه، فهو أوسع و أشمل من أن يقتصر في جانب واحد، فالآخر ينقسم إلى قسمين : الآخر الذي يقع ضمن ثقافة الأنا و الآخر الذي يقع خارج ثقافة الأنا أي الآخر الذي لا ينطوي ضمن نطاق الأنا و الآخر الذي يخرج عن حيز الأنا و بقبع خارجها ؛ يمكن تلخيص مفهوم الآخر بأنّه «الذي يختلف عن الأنا تفكيرا أو ثقافة أو جنسا أو دينا »[11].

الأنا والأخر برغم اختلافهما فهما مرتبطان ومتلازمان والحديث عن أحدهما يستلزم استحضار الآخر رغم طبيعة العلاقة بينهما (اتصال أو انفصال)، استبعاد أحدهما يعني اختفاء واندثاره ولا يتحقق ذلك إلا بالاختفاء الأبدي لأحد طرفي الثنائية.

أساس علاقة الأنا بالآخر هي الاختلاف بكل أنواعه الفكريّ والجنسيّ والدينيّ والثقافيّ فينتج عن هذا الاختلاف بينهما إمّا الانجذاب والتقبّل فيّ صورة انبهاريّة تقديسيّة أو العداء والصّراع في صورة نرجسيّة للذات و هامشيّة وانتقاصيّة للآخر « فوعي الذات الوجوديّ بناء على الطرف الآخر»[12]، وهذا ما نقف عليه من خلال النموذج الروائي الذي بين أيدينا .

4-الآخر العربي : حالة الانفصال

تعدّ الرواية من الفنون الأدبية الأكثر اتساعا واهتماما بدراسة الآخر وعرض صورته، ذلك لأنها «الشكل الأدبي الجامع للكثير من التأثيرات نتيجة لحجمها أولا و لتمتعها بإمكانيات كثيرة كالسرد و الوصف والتحليل، مما يمكنها من عرض أوضح الصور عن الآخر»[13].

استطاعت الرواية التعبير عن الواقع وما يحدث فيه وتمثيله سرديا، وبلورته في قالب تخييلي إذ أنها استوعبت كافة الموضوعات الحياتية، ومن أهم الموضوعات التي استرعت اهتمامها وتمثّلها صورة الآخر الذي تعددت صوره واختلفت حسب الرؤى ووجهات النظر إليه.

حاولت عفاف البطاينة من خلال البطلة منى/ الذات التعبير عن نفسها من خلال رؤيتها وتصوراتها الذهنية عن الآخر، متخذة الرواية مجالا رحبا لهذا التعبير لكونها الجنس الأدبي الذي يفسح المجال لتمثيل هذه الصورة من خلال الشخصيات وصراعها مع ذاتها أو مع الآخر الخارجي أو الأجنبي من جهة أخرى[14].

عمدت الكاتبة من خلال الشخصية البطلة / منى إلى نقل تصوراتها والتعبير عن أحاسيسها ومشاعرها الكامنة في ذهنها والعاكسة لما تتصوره، فاستعملت كل ما أتيح لها من وسائل للإقناع والتأثير.

ومادام الأمر كذلك هذا يعني أن هذه الصورة التي ترسمها ستواجه العديد من الإشكالات « إذ أن تقديم صورة الآخر يخضع لنوع من الخيار الفكري المختلط بالمشاعر » [15]، تلك المشاعر التي لا تثبت فهي متغيرة من شخص لآخر خاضعة لانطباعات البطلة / منى التي تنقل وجهة نظرها، مما جعل من صورة آخر الذات / الأب / الزوج المجتمع الشرقي مشوهة أمام صورة الأنا/ الكاتبة / البطلة المتفوقة والمتعالية.

صورة الآخر/ الشرقي تعرض وتدرس وفقا لأفكار مسبقة وقليلا ما يكون هذا التعبير نقيا بسبب أن الذات/ البطلة لا يمكن أن تتفق مع الآخر، وذلك يرجع لأسباب ثقافية وأخرى تاريخية، وما هذه الصورة التي نقلتها منى إلا نتيجة لتلك الترسبات الثقافية والموروثات الاجتماعية التي خزنت في الذاكرة الجمعيّة تجاه المرأة /الأنثى.

لا يمكن انتزاع الصورة التي تشكلها الذات عن الآخر من الحاضنة الثقافية و السياقات التاريخية التي أسهمت في تشكلها و بلورتها، الصورة تمثيل لواقع ثقافي و إيديولوجي وتخيلي عن الآخر وعن الواقع « فهي ليست شديدة التقرب منه ولكنها شديدة الاختلاف عنه، ولكنها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف » .[16]

عفاف البطاينة لم تخرج عن تلك الصورة النمطية للآخر التي رسمتها الكثير من الروائيات العربيات في كثير من الأحيان، صورة الآخر/الشرقي المضطهد/ السيّد المتسلط، ذلك النمط الذي ساهم في شيوع الثنائيات الجامدة، سواء من ناحية الجنس (ذكر و أنثى) أو من حيث الثقافة (تفوق و تخلف) وغيرها من النواحي، ممّا كرس للنظرة العنصرية و العدائية للأخر في مقابل النظرة النرجسية للأنا، ذلك أن الأنا لا تنقل الصورة كما هي بل تنقلها وفقا لأفكار مسبقة عن الآخر، هذا ما ينتج عنه تكوين صورة مشوهة و منقوصة عنه،

فالكاتبة من خلال البطلة منى أرادت تمثيل صورة المجتمع الأردني / الشرقي / المجتمع الذكوري سرديا ،ويبدو ذلك الانفصال عنه واضحا، فمنى رغم انتمائها لذلك المجتمع و حملها لاسم العائلة إلاّ أنّها تشعر بالانفصال عنه فكريا، وهذا الشعور تولد نتيجة ما تصوره البطلة من حرمان ؛ حرمان من إكمال دراستها ومن حب مراهقتها صادق و ليتحول بعدها الحرمان إلى حرمان من الحرية إذ غدت أسيرة في بيت أهلها و تتحول إلى خادمة لذكور عائلتها، بل وتضطر إلى تحمل شتائم والدها و اضطهاده لها، مما جعلها تلجأ إلى نوع من الهروب النفسي فتأخذ من الصلاة و العبادة وسيلة للهروب من واقعها، وكثيرا من الأحيان فكرت في الانتحار إلاّ أنّ محاولاتها باءت بالفشل .

إنّ الصورة لكل من الأنا والآخر هي صورة متخيلة قبل أن تكون واقعية، تستمد طبيعتها من الواقع، فالخيال سابق للواقع في تكوين هذه الصورة كل طرف يرسم للآخر صورة مبنية على خلفيات ونوايا مقصودة أو غير مقصودة تشكلت في وعيه، فالرواية تصور ثنائية ضديّة بين البطلة/ الأنا والآخر في صوره المختلفة / الشرقي المتسلط.

تجدر الإشارة إلى أنّ الآخر في الرواية العربية ليس دائما الغرب فقد يكون الآخر فينا ومنّا؛ أي أنّ الأنا/ الذات يمكن أن تنقسم إلى أنا وآخر، كما أن الآخر ليس بالضرورة هو البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي، أو التنافس الدائم، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها الآخر [17]. وهذا ما يظهر جلّيا في صراع منى / الأنا مع آخر الذات / الأب منصور وذكور العائلة / المجتمع الشرقي

نجمت عن هذه الصورة المشوهة للآخر العربي/ المجتمع الذكوري تلك المركزية الذاتيّة التي تقوم على تهميش الآخر و إلغائه، وتنصيب الأنا مصدرا للحقيقة، إرادة القوة بالمفهوم النيتشوي والتي «تقوم على تمجيد الذات مع استحضار الآخر ليس بوصفه عاملا مساهما في تأسيس هذه الذات و إنما بوصفه أبشع صورة سلبية يمكن أن يعكسها هذا الآخر بالنسبة لهذه الذات »[18].

هي تلك الصورة التي رسمتها البطلة منى لأفراد عائلتها وذكورها خاصة والمجتمع الشرقي عامة، فقد تحدثت بلسان كل أنثى شرقية، و في سياق التوتر بين النسق و الذات، بين ثقافة مركزية تعمل على تهميش المرأة واحتقارها ،وذات تسعى إلى الخروج من النسق القمعي و المهيمن لهذه الثقافة تتشكل هوية البطلة "منى"، التي ترى أفراد عائلتها كلهم مرضى، تقول : « ذكور عائلتي مرضى و يظنون أنّهم محصنون ضد أمراض الغير»[19].

وما استحضارها لتلك الشخصيات النسوية المتعددة وتعبيرها عن معاناتهن إلاّ دليل على ذلك التوجس والنقم على هذا المجتمع الشرقي الذي قولبته العادات والتقاليد وجعلت منه صورة نمطيّة تكرر عبر الأزمان تلك الصورة التي ترى في المرأة أداة يكيفها الرجل ويجعلها طيعة بين يديه، واقتصر وجودها في الطاعة والولاء له، وإن أرادت التعبير عدّ ذلك

سفور ومروق منها، لتغدو بؤرة عار يجب أن تستأصل «وفي سياق تشخيص السرد لتنامي هذا الاشتباك الدّلالي بين صور الذكورة وصور الأنوثة، يعري النّص سياسات الهيمنة الذكورية في تشييدها للأنوثة، بوصفها "الهوية الأخرية " المزدوجة، بحيث تكون في الآن نفسه موضوع رغبة و إهانة وعنف، يتم تمثيلها بوصفها "اختلافا " من منظور استيهام اللّذة، ولكنّه اختلاف شيطاني ينبغي قمعه وحجبه، حماية للمجتمع من فتنته وإغوائه»[20].

هذا النسق الأيديولوجي هو ما تمثله تخييليا صورة البطلة "منى" مع الزوج محروس الذي يرغب في انتهاك جسدها بالقوة، وعندما تتمنع تصبح موضوع عنف ؛ تقول منى « لست أنسى محاولة اغتصابه لي ...هجم عليّ وحملني بين يديّه كالوحش ... وضعني فوق السرير وهو يعدني بالمتعة، أحاول الحركة لكنني مقيدة، يضمني و يحاول تقبيلي متجنبا ضرباتي، كلما ازدادت شراسة ازداد إصرارا ورغبة »[21].

الروائية تغوص في أعماق المجتمع الشرقي، باحثة في نفسية الرجل / الذكر قبل المرأة، ليتبيّن من خلالها أنّ كل الرجال / الآخر ضعفاء من الدّاخل رغم ما يظهرونه من قسوة وما يبدو عليهم من غلظة وشدة، تحكمهم عقدة الذّكورة والفحولة والخوف من فقدانها، تجسد هذا في شخصية محروس، الذي رفضت أن تمنحه جسدها «أقسمت أن تنام قوانين الحلال والحرام في حضن أبي وقبيلتي ومحروس، وعاهدت جسدي ألاّ أحلّه إلا لفرد يوقّع عليه لا على الورق، و يوقّع جسدي عليه لا على وثيقة نجاة »[18] .

ما رفض "منى" لتسليم جسدها ل"محروس" سوى رفض لواقع مشوّه، حاول أن ينتهك جسدها، متّخذا من الزواج ذريعة، ليلجأ إلى العنف و الضرب عملا بنصيحة الأب، ف"محروس" / الزوج ما هو إلا نسخة عن الأب/ السلطة الذكورية، فالزوج متخذا من عقد الزواج مبررا لانتهاك جسدها و تملكه، أمّا الأب / ذكور العائلة يتخذون من العادات و التقاليد الاجتماعية مبررا لذلك، « فمن وجهة نظرها كان الزوج المترهل القذر يريد اغتصابها، وذلك بأن يمضي بالأسلوب نفسه الذي كان أبوها قد بدأه و من وجهة نظر الزوج فهي وليمة ينبغي أن يجري الاستمتاع بها بالعنف، وإخضاعها بالقوة، فتمنّع الأنثى يقتضي جبروت الذّكر» [19].

تصدم منى بزواجها الثاني من "سليمان"/ الآخر /الشرقي / المغترب المهووس بالجنس، ويتبيّن لها بأنّه «لا يختلف عمّا عرفت من رجال قبيلتها الذين خرّبوا كلّ شيء نفيس في أعماقها، فلم تصقله ثقافة الغرب، ولم يتعلم شيئا، وبقي حاملا جرثومة الأنا نفسها فتعاظمت الكراهيّة مجددا في داخلها تجاه كل الأشياء المحيطة بها فصارت تحتقر نفسها والعالم الذي تعيش فيه».[22]

رسمت منى لزواجها من الشاب العربي المغترب في اسكتلندا المنفذ الذي سيكون خلاصها، ولكنّها تكتشف أيضا أنه يمثل وجها من أوجه مركزية مجتمعها الشرقيّ، فهو لا يختلف عن الآخر/الأب/القبيلة/ محروس «في ضوء التجربتين اللتين مرت بهما وجدت "منى" نفسها في حالة جهل وعمى وتخبط، فلا تعرف ماذا تريد ولا إلى أين تمضي، وتحوم وفي رأسها أفكار الانتقام، وتستبد بها مشاعر الكراهيّة إذ حطم الرجال حياتها مرتين في وطنها وفي مغتربها».[24]

5– صورة الآخر / الرجل الغربي: حالة انفصال

إذا كانت صورة الآخر/العربي /الذكوري تظهر بأنّها صورة قاتمة سلطوية، مناهضة للمرأة ترى فيه الكاتبة / منى محطم أمالها و طموحاتها مكبل حريتها، فالأب /العائلة / الرجل العربي / الزوج مقيد و قامع للانا /منى/ الأنثى فتلجأ الى الآخر/الغربي، لذا تقرر هجر زوجها/ سليمان و تهجر معه عالمها الممقوت، عالم شعرت فيه بالدونية و التهميش، فما هو إلاّ نسخة ثانية عن مجتمعها الشرقي، كانت بداية النور بالأخصائية النفسانية/ الآخر/ المرشد التي أوضحت لها مشكلتها و شخّصت حالته «إنّك لا تعرفين ماذا تريدين، إذهبي وفكري وحددي أهدافك، اعرفي ما يسعدك وما يزعجك و ما تطمحين إليه، مشكلتك نابعة من ذاتك ».[26]

تتواصل صور العنف والقمع الجنسي أيضا مع الزوج سليمان الذي لا يفكر سوى في قضاء لذته غير آبه بمشاعر زوجته واستعدادها النفسي لقبوله، على عكس صورة الآخر / الغربي / ستيوارت الذي رأت فيه نموذج الحرية والحب والديمقراطية، الذي جعلها تشعر بكيانها كأنثى، تقول منى « منحني بلحظة صدق طمأنينة لم يمنحني إيّاها أي من الرجال الذي عرفتهم لسنوات»[22].

إن شعور المرأة / منى/ الكاتبة بالانتقاص دفع بها إلى الارتماء في أحضان الآخر / الغربي، إذ بدا في أفق انتظارها مخلصا و باعثا على فكرة الاستقلال، سعت المرأة الشرقية / منى إلى تلك العلاقة لمعرفة تجربة جسدية مغايرة عن علاقتها بالآخر العربي / الشرقي، « ويبدو الفضاء الغربي مغايرا للفضاء الشرقي، ولهذا انجذبت المرأة للرجال في فضاء مغاير، ترتسم فيه صورة المرأة الشريكة للرجل و ليست المحظيّة »[23].

سعت الكاتبة وضمن استراتيجية مضادة للنسق الذكوري / الأبوي وفي محاولة منها لإزاحته سرديّا باعتماد صيغة البوح الأنثوي الذي مثلته الشخصية الساردة منى، الذي سعت من خلال صورتها إلى انتهاك خطاب الذكورة وتعرية تناقضاته. وعلى غرار حكاية شهرزاد التي تقاوم مصير النهاية والموت، جاءت البطلة/ منى معلنة تحديها لأجل البقاء، ذلك المصير الذي فرضه عليها آخر الذات / أفراد العائلة / العم، الذي رفض إقامتها مع ستيوارت في شقة واحدة خارج مؤسسة الزواج، وهذه على ما يبدو مقاومة نصيّة ثقافية من قبل منى / الكاتبة.

وبتشجيع من صديقتها كارول تقيم منى علاقة جسدية حرّة مع ستيوارت خارج مؤسسة الزواج، إلا أنّ هواجس الخوف و الحنين مازالت تسكنها، فتقرر العودة لزيارة عائلتها إلاّ أنّها لم تلمس أي تغيير، فتعود إلى لندن أكثر تشاؤما، و ما زاد من خوفها وقلقها أكثر زيارة عمها "سالم "، الذي أظهر تشدده و رفضه لعلاقتها مع ستيوارت، فهي في نظره لم تخرق الحدود الشرعيّة فحسب، بل تمرّدت على القبيلة وقوانينها أيضا « أنا ما بسمحلك تعيشي هيك، لا كرامتي، ولا رجولتي، ولا ديني يسمحولي أنّي أسكت على إللي بتعمليه ... هذه العلاقة غير صحيحة، ولن أقبل بها »[24]

لم يجرد الآخر / الغربي البطلة من الدين بل جردها من شكلها و اسمها العربيين، أضحت "سارا الكزاندر" /" منى" بملامح غربية و انتماء غربي، وما هويتها الجديدة إلاّ صورة عن الغرب بحريته وانعتاقه «أستطيع الآن أن استبدل اسمي، وألغي علاقتي بنسبي وأطمئن (...) ولن يستطيع المجرمون يوما التوصل إلي»[36]، بل وتقرر انسلاخها وتبرمها من قبيلتها تقول « كنت ابنة قبيلتي و كان اسمي و وجهي امتدادا لما فرض علي، الآن صرت ما اخترت و احمل الاسم الذي

أرتضيه و الوجه الذي صممته لذاتي و الجسد الذي شئت لأناي، وحده صوتي القديم بقي كما كان وسيبقى ليدافع عن حقي في الحياة كما أشاء، لم أعد ابنة الصدفة والقدر» [25]

إذن ومن خلال الإحساس بوطأة الواقع وثقله والإحساس بالظلم يبدأ التمرد على المجتمع والعادات والتقاليد، والسعي للحصول على أوضاع أفضل ويكون ذلك بالهروب، وهذا ما جسدته البطلة منى من خلال تغيير اسمها وشكلها، وتنصلها من هويتها العربية.

استطاعت عمليات التجميل أن تخلص "منى" من ماضيها بدءا من والدها / قبيلتها ثم تاريخها، فقد خلصت "منى" نفسها من تلك البنى الفكريّة والحضاريّة والثقافيّة مقابل اعترافها بالآخر/الغربي/المسيحي، فظهورها بملامح غربية مغايرة لتلك الملامح العربية؛ «كنت ابنة قبيلتي وكان اسمي ووجهي امتدادا لما فرض علي، الآن صرت ما اخترت و احمل الاسم الذي أرتضيه والوجه الذي صممته لذاتي و الجسد الذي شئت لأناي، وحده صوتي القديم بقي كما كان وسيبقى ليدافع عن حقي في الحياة كما أشاء، لم أعد ابنة الصدفة والقدر». [26] .

ولكن هل هذا التنكر والقناع الذي ارتدته **منى / سارا الكزاندر** وتوليّها تلك المهمة الإصلاحية يجدي نفعا في وسط مجتمع شرقي خصوصا أنّه لا يعترف بأفكار الغرب / الآخر ولا يحتفي بها ؟، وهل التنكر حقا هو الحلّ الأمثل لتعبّر البطلة / الكاتبة عن آرائها؟ ولكنّ وحسب رأي هذا الحلّ لن يقنع القارئ لأنه يبتعد عن التفكير الواقعي والمنطقي.

نجد الكاتبة / عفاف البطاينة ومن خلال الشخصية منى استطاعت أن تقتحم جدران الصمت والنسيان، فلم تكتف بالتعبير عن نفسها وطرحها لقضايا المرأة فحسب بل تجاوزت ذلك إلى الآخر/ العربي، الذي رأت فيه الكابح لحرتها والباسط لسلطته الذكورية عليها.

خاتمة

أرادت الكاتبة عفاف البطاينة من خلال كتابتها عن الآخر/ العربي مراجعة تلك الثقافة القابعة في الترسبات الموروثة التي تمجّد حضوره وتعطيه الأحقية في جعلها كائنا مهمشا يجب أن يخضع لسلطته، فنجدها تلجأ إلى الآخر / الغربي الذي جعلنه في صورة الحضاري الديمقراطي الداعم للمرأة، في حين الآخر العربي بصورة معاكسة، ما هو إلاّ سلطوي قامع لحريتها وفي غالب الأحيان نجدها تتنصل من عاداتها العربية، فقد لجأت بطلة الرواية إلى الظهور بالزي و الشّكل و الاسم الغربي جرّاء لجوئها إلى عمليات تجميلية لتغيير شكلها العربي وفي هذه الحالة تفقد الأنا جزءا من ذاتها ليصبح هذا الجزء منتميا إلى سواه، إنّه سيتوقف عن كونه ذاته بالنسبة لنفسه، و سوف يصبح هو الآخر بالنسبة لشخص الآخر/ الشرقي.

وهذه الصورة المتخيلة للأخر في رواية خارج الجسد لا تخرج عن صنفين: إما أن تكون صورة مشوهة رافضة تماما لذلك الآخر وفيها دعوة لمجافاته والثورة عليه وإلغاء وجوده، وإما أن ترى فيه النموذج الأمثل والبطل السوبرماني / المنقذ الذي يخرج الذات من غياهب الظلمات إلى النور المنشود.

الهوامش

[1]– صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالميّة للكتاب، بيروت لبنان، ط1، 1994، ص 341.

[2]– كاظم نادر: تمثيلات الآخر، صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 16.

[3]– هيلتون ليندا: سياسة ما بعد الحداثة، تر: حيدر إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص111.

[4]– الخضراوي ادريس: الرؤايّة العربيّة و أسئلة ما بعد الاستعمار ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ،2013، ص 58.

[5]– فوكو ميشال: الكلمات والأشياء، تر: صلاح الصّفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1990/1986، ص 289.

[6] – فاضل حمد الحمود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نفسيّة)، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2012، ص33

[7]– سعد البازعي: في مقاربة الآخر، مقارنات أدبية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 12 .

[8]– عبد الله بوقرن: الآخر في جدلية التاريخ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الفلسفة، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ص 01.

[9]– يمينة حمداني: الأنا والآخر وإشكالية الانتماء للوطن، رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح أنموذجا، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 27، السداسي الثاني، 2011، ص 165.

[10]– نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة والجسد والثقافة.، عالم الكتب الحديث، دار جدارا للكتب، عمان، الأردن، ط1 ، 2008، ص 37

[11] – ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا و مصطلحا نقديا) المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007، ص 22 .

[12]– المرجع السابق، ص22.

[13] – عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986ص: 69

[14] – فاطمة كاظم زاده: الأنا والآخر في رواية ثريا في غيبوبة لإسماعيل فصيح ص 13.

[15]– ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا،2000، ص259.

[16]– عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص82.

[17]– طاهر لبيب وأخرون: صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط،1999 ص111 .

[18]– نصر الدين بن غنيسة: قراءة في أثر التمركز الثقافي في نشأة الهوية الإسلامية، مجلة المعرفة، السنة 14، العدد 58 ربيع 2009، ص118.

[19]– عفاف البطاينة: خارج الجسد، ص 74 .

[20] – بوعزة محمد،تمثلات الهوية النسوية في رواية "دنيا " لعلوية صبح ، مجلة تبيّن للدراسات الفكرية و الثقافية، العدد 20، المجلد 05 ، ربيع 2017 ،ص 35.

[21]– الرواية: ص 120.

[22]– الرواية، ص 318 .

[23] –نهال مهيدات: سرد الآخر في الرواية النسويّة العربيّة، في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة ص 54 .

[24]– عفاف البطاينة: خارج الجسد، ص 424 .

[25]– الرواية، ص 438 .

[26]– الرواية: ص 414 .

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا و الآخر في الشعر العربي المعاصر دار الزمان، دمشق، سوريا، ط 1، 2009 .

2- جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس، والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط4، 1997 .

3- حلمي خضر ساري: صورة العرب في الصحافة البريطانية، مركز الدراسات العربية، بيروت، لبنان، ط1، يناير 1988.

4- الخضراوي إدريس: الروايّة العربيّة و أسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

5- رجاء النقاش: أدباء معاصرون، دار الهلال، القاهرة، مصر، دط، 1971.

6- سعد البازعي: في مقاربة الآخر، مقارنات أدبية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999 .

7- سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا و مصطلحا نقديا) المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007.

8- طاهر لبيب و آخرون: صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط،1999.

9- الطيب صالح : موسم الهجرة للشمال، رواية، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979.

10- عبد الله ابراهيم : المركزية الإسلامية، صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العرب، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، ط1 ، 2001 .

11- عبد الله إبراهيم: السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثويّة، والجسد، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.

12- عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، الأبنية السردية و الدلالية، ج2، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، عمان، الأردن، ط1، 2013 .

13- عبد الله ابراهيم: موسوعة السرد العربي ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، طبعة موسعة، 2008.

14- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

15- عفاف البطاينة: خارج الجسد، رواية دار الساقي بيروت لبنان ط1 2004.

16- فاضل حمد الحمود: جدلية الذات و الآخر في الشعر الأموي (دراسة نفسيّة) ، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2012.

17- فوكو ميشال: الكلمات والأشياء، تر: صلاح الصّفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1990/1986.

18- ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010 .

19- ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا،2000.

20- منير مهادي : نقد التمركز وفكر الاختلاف، مقاربة في مشروع عبد الله إبراهيم التغذي، دار ابن النديم، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.

21- نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة و الجسد و الثقافة، عالم الكتب الحديث، دار جدارا للكتب، عمان، الأردن، ط1 ،2008 .

ثانيا – المقالات:

1- بوعزة محمد: تمثلات الهوية النسوية في رواية "دنيا " لعلوية صبح، مجلة تبيّن للدراسات الفكرية و الثقافية، العدد 20، المجلد 05 ، ربيع 2017 ،ص 35.

2- عبد المجيد حنون، علاوة كوسة: "الواقع الغربي في المتخيل الشرقي قراءة في كتاب صورة الفرنسي في الرواية المغربية"، مجلة تقاليد، العدد 11، ديسمبر 2016.

3- فاطمة كاظم زاده: "الأنا والآخر في رواية ثريا في غيبوبة لإسماعيل فصيح"، مجلة إضاءات نقدية، (فصلية محكمة) السنة الخامسة، ع19، أيلول 2015.

4- منير مهادي: "المتخيل السردي والتمثيل في خطاب عبد الله إبراهيم النقدي"، ضمن كتاب: فلسفة السرد، المنطلقات المشاريع، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2014 .

5- نصر الدين بن غنيسة: "قراءة في أثر التمركز الثقافي في نشأة الهوية الإسلامية،" مجلة المعرفة، السنة 14، العدد 8 ربيع 2009.

6- يمينة حمداني: "الأنا والآخر وإشكالية الانتماء للوطن، رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح أنموذجا "، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 27، السداسي الثاني، 2011.

ثالثا – الرسائل الجامعية:

1- سعد فهد عيطان الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي في نهاية العصر العباسي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، تخصص الأدب والنقد، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2007.

عبد الله بوقرن: الآخر في جدلية التاريخ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الفلسفة، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007.